إحياء التراث الصحراوي: "استلهام الابتكار من مشاريع ثقافية عالمية في بيئات مماثلة"

Reviving Desert Heritage: "Drawing Innovation from Global Cultural Projects in Similar Environments"

وفاء بالحبيب[1]، العيدي طويل[2]

[1] جامعة محمد لمين دباغين. سطيف2 (الجزائر)، wa.belahbib@univ-setif2.dz

[2] جامعة محمد لمين دباغين. سطيف2 (الجزائر)، l.touil@univ-setif2. dz

ملخص: يعد التراث الصحراوي بصفة عامة والجزائري بصفة خاصة أحد الركائز الأساسية للهوية الثقافية للمجتمعات التي عاشت في البيئات القاحلة، حيث يعكس هذا التراث تفاعلا عميقا بين الإنسان وبيئته القاسية على مر العصور، غير أن هذا الإرث القيم أصبح اليوم يواجه تحديات متعددة، تتراوح بين التأثيرات البيئية المتمثلة في التغير المناخي، والضغوط الاجتماعية والاقتصادية المرتبطة بالعولمة والتمدين السريع، في ظل هذه التحديات، أصبح إحياء التراث الصحراوي ضرورة ملحة لا تقتصر على الحفاظ عليه فحسب، بل تشمل أيضا إعادة توظيفه بطرق مبتكرة تسهم في تحقيق التنمية المستدامة، انطلاقا من إدراك أهمية التفاعل بين التراث الثقافي والابتكار المعاصر، يهدف هذا البحث إلى دراسة استراتيجيات إحياء التراث الصحراوي من خلال استلهام الابتكار من مشاريع ثقافية عالمية أُقيمت في بيئات مشابهة، وتعتمد هذه الدراسة على المنهج المقارن لتحليل مشاريع نجحت في الحفاظ على الهوية الثقافية وتوظيفها في دعم السياحة والتنمية الاقتصادية مع مراعاة الاستدامة البيئية، وسيركز البحث على تسليط الضوء على أمثلة لمشاريع ثقافية ومعمارية في مناطق صحراوية وشبه صحراوية مثل منطقة شبه الجزيرة العربية، وإفريقيا، مع تحليل العوامل المشتركة التي أدت إلى نجاح هذه المشاريع، كما سيتم التطرق إلى الطرق المبتكرة التي جمعت بين التقنيات التقليدية والأساليب الحديثة لتحقيق التوازن بين الأصالة والحداثة، وتنبع **أهمية هذا البحث** من الحاجة إلى إيجاد حلول عملية لمشكلات تدهور التراث الصحراوي وغياب استراتيجيات مستدامة لإحيائه، عبر الاستفادة من تجارب عالمية يمكن تكييفها لتناسب السياق المحلي، وعليه يطمح هذا البحث إلى تقديم إطار معرفي ومنهجي يمكن من خلاله تطوير مشروعات ثقافية تسهم في حماية التراث الصحراوي وإعادة إحيائه كجزء من الهوية الإنسانية المشتركة.

أهداف البحث:

- دراسة التحديات التي تواجه التراث الصحراوي.
- تحليل مشاريع ثقافية عالمية ناجحة في بيئات مشابهة.
- استكشاف الاستراتيجيات المبتكرة التي تدمج بين الحفاظ على التراث وتحقيق الاستدامة.
- تقديم توصيات قابلة للتطبيق لإحياء التراث الصحراوي بطرق مبتكرة ومستدامة.

منهجية البحث: يعتمد البحث على:

- المنهج التحليلي :لدراسة عناصر النجاح والفشل في هذه المشاريع.
- المنهج الاستنباطي :لتقديم حلول وتوصيات قابلة للتنفيذ في السياق الصحراوي المحلي.

الكلمات المفتاحية: التراث الصحراوي؛ البيئة الصحراوية؛ الإبتكار الثقافي؛ التنمية المستدامة؛ المشاريع العالمية.

Abstract : Saharan heritage, in general, and Algerian heritage, in particular, constitute fundamental pillars of the cultural identity of communities that have lived in arid environments, This heritage reflects a deep interaction between humans and their harsh environment over the centuries, However, this valuable legacy is now facing multiple challenges, ranging from environmental impacts such as climate change to social and economic pressures associated with globalization and rapid urbanization, In light of these challenges, the revival of Saharan heritage has become an urgent necessity—not only to preserve it but also to repurpose it in innovative ways that contribute to sustainable development, Recognizing the importance of the interaction between cultural heritage and contemporary innovation, this research aims to explore strategies for reviving Saharan heritage by drawing inspiration from global cultural projects established in similar environments. The study adopts a comparative approach to analyze successful projects that have managed to preserve cultural identity while leveraging it for tourism and economic development, all while ensuring environmental sustainability.

The research will focus on highlighting examples of cultural and architectural projects in desert and semi-desert regions, such as the Arabian Peninsula and Africa, analyzing the common factors that contributed to their success. Additionally, it will examine innovative methods that combine traditional techniques with modern approaches to achieve a balance between authenticity and modernity.
The significance of this research lies in the need to find practical solutions to the deterioration of Saharan heritage and the lack of sustainable strategies for its revival. By learning from global experiences that can be adapted to the local context, this research aspires to provide a knowledge-based and methodological framework for developing cultural projects that contribute to the protection and revival of Saharan heritage as part of a shared human identity.
Research Question: How can Saharan heritage be revived by drawing inspiration from successful global cultural projects in similar environments?
Research Objectives:
-Examine the challenges facing Saharan heritage.
- Analyze successful global cultural projects in similar environments.
-Explore innovative strategies that integrate heritage preservation with sustainability.
-Provide practical recommendations for reviving Saharan heritage in innovative and sustainable ways.
Research Methodology:The study relies on:
-Analytical Approach: To study the success and failure factors in these projects.
-Deductive Approach: To propose practical solutions and recommendations applicable to the local Saharan context.
Keywords : Desert heritage; Desert environment; Cultural innovation; Sustainable development ; Global projects

مقدمة : يعد التراث بكافة لشكاله أحد أهم الركائز التي تساهم في تشكيل هوية المجتمعات والحفاظ على لستمراريتها في مواجهة التحولات المتسارعة، ففي المناطق الصحراوية بالجزائر خاصة يتسم التراث المحلي بتحديات خاصة نتيجة العوامل البيئية القاسية، والتغيرات الاجتماعية والاقتصادية، والتأثير المتزايد للعولمة ومع ذلك، شهدت العديد من الدول والمجتمعات في مناطق مشابهة تجارب ناجحة في إحياء التراث من خلال مشاريع إبداعية تجمع بين الأصالة والمعاصرة وهو ما قد يفتح المجال لاستلهام استراتيجيات مبتكرة للحفاظ على التراث الصحراوي الجزائري وتوظيفه في التنمية المستدامة، ويفترض أن استلهام التجارب العالمية الناجحة في بيئات مماثلة يمكن أن يشكل منهجية فعالة لحماية هذا الإرث الثقافي وتطويره وذلك في ظل تدهوره، ومن هنا يتمثل التساؤل الرئيسي في: إلى أي مدى يمكن استلهام الابتكار من المشاريع الثقافية العالمية في بيئات صحراوية مماثلة لإحياء التراث المحلي واستدامته؟

بحيث تعتمد الدرلسة على مراجعة وتحليل الأبحاث السابقة التي تناولت موضوع الحفاظ على التراث الصحراوي، وكذلك المشاريع الثقافية العالمية الناجحة في بيئات مماثلة، وقد تباينت هذه الدراسات من حيث الأهداف، حيث ركز بعضها على التوثيق التاريخي للتراث، بينما اهتمت أخرى بتطوير لستراتيجيات الحفظ الرقمي أو إدماج التراث في السياحة المستدامة، كما اختلفت من حيث العينات المدروسة، إذ شملت بعض الدرلسات مجتمعات محلية معينة، في حين تناولت درلسات أخرى نماذج من مؤسسات ثقافية أو مشاريع تنموية، كذلك تنوعت طرق البحث بين الدراسات الميدانية، والتحليل المقارن، واستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في التوثيق الرقمي، مما أدى إلى استنتاجات متعددة حول فعالية الأساليب المختلفة في إحياء التراث الثقافي، بناءً على هذه الخلفية يسعى البحث إلى تقديم نموذج مستدام يمكن تطبيقه في سياق المجتمعات الصحراوية، بالاعتماد على تحليل أبرز أوجه التشابه والاختلاف بين التجارب الدولية الناجحة وواقع التراث المحلي، مما يتيح وضع استراتيجيات مبتكرة للحفاظ على التراث الصحراوي وتحقيق استدامته.

1. الطريقة والأدوات:

1-**اختيار العينة:** يتم اختيار العينة بلستخدام الطريقة القصدية (Purposive Sampling) لاستهداف المشاريع الثقافية العالمية التي طبقت في بيئات صحراوية مماثلة، سيتم اختيار عينة من: - مشاريع إعادة إحياء التراث في الجزائر (مدينة تيميمون وواد سوف ووادي مزاب).

- مشاريع دولية ناجحة في بيئات مشابهة (السعودية، مصر).

2- **المتغيرات وكيفية قياسها:**

- **المتغيرات المستقلة:** استراتيجيات الحفاظ على التراث. دور المجتمع المحلي في المشاريع (مشاركة السكان، التقاليد الموروثة).

التقنيات الحديثة المستخدمة (استخدام التكنولوجيا الرقمية، الذكاء الاصطناعي في الترميم).

- **المتغيرات التابعة:** مدى نجاح المشروع (مؤشرات مثل استمرارية المشروع، مدى تأثيره على المجتمع المحلي). الاستدامة البيئية للمشروع. التأثير الاقتصادي والاجتماعي (فرص العمل، جذب السياحة).

3- **طرق جمع البيانات:** تحليل الوثائق والتقارير الرسمية الخاصة بالمشاريع الثقافية المختارة.

4- **طرق تحليل البيانات:** -التحليل الوصفي - التحليل الاستنتاجي

2. التراث الصحراوي في الجزائر – الأهمية والتحديات

يعد التراث الصحراوي في الجزائر جزء أساسيا من الهوية الثقافية والتاريخية للبلاد، حيث يعكس التنوع الحضاري والتفاعل الإنساني مع قساوة البيئة، يمتد هذا التراث ليشمل العمارة التقليدية، والزخرفة، والفنون الحرفية، والعادات الاجتماعية، والأدب الشفهي، مما يجعله مصدرا غنيا للدراسات الثقافية والأثرية والأنثروبولوجية، ورغم أهميته البالغة يواجه التراث الصحراوي في الجزائر العديد من التحديات، أبرزها العوامل البيئية مثل التصحر والتغيرات المناخية، بالإضافة إلى التأثيرات البشرية المتمثلة في الإهمال والنشاط السياحي غير المستدام، والعولمة الثقافية التي تهدد استمراريته، لذلك أصبح من الضروري وضع استراتيجيات للحفاظ عليه من خلال التوثيق، وإعادة تأهيل المواقع التراثية، وتعزيز الوعي المحلي بأهميته، ووفقا لمنظمة اليونسكو فإن الحفاظ على التراث الثقافي في البيئات الصحراوية يتطلب جهودا متكاملة تشمل السياسات الحكومية، والتعاون مع المجتمعات المحلية، وتوظيف التكنولوجيا الحديثة في عمليات الترميم والتوثيق، وبالتالي فإن حماية التراث الصحراوي تعد مسؤولية جماعية لضمان استمراريته للأجيال القادمة (UNESCO، 2021).

1.2. أهمية الحفاظ على التراث العمراني لتحقيق التنمية السياحية المستدامة: الحفاظ على التراث العمراني وإحيائه وتنشيط السياحة المستدامة متلازمان، حيث تعد السياحة وسيلة لتنشيط الاقتصاد في المناطق التراثية وتعزيز المشروعات الصغيرة والمتوسطة، مما يعود بالفائدة على السكان

المحليين والمستثمرين، كما أن توافر الخدمات السياحية الملائمة يعزز من لستقطاب الزوار، ويدعم المجتمعات المحلية من خلال خلق فرص عمل وإحياء الصناعات التقليدية، وأظهرت الدرلسات السابقة حول هذا الموضوع أهمية إشراك المجتمع المحلي في التنمية السياحية، إذ لا يمكن تحقيق تنمية مستدامة بعيدا عن السكان المحليين، الذين يشكلون جزءً أساسيا من الهوية الثقافية والتراثية، ولهذا يتطلب نجاح الاستدامة السياحية في المناطق التراثية تعاونا مشتركا بين القطاع الحكومي، القطاع الخاص، ومؤسسات المجتمع المدني، إن تفعيل دور المجتمع المحلي في مشاريع الحفاظ على التراث يعزز الشعور بالانتماء ويضمن استدامة هذه المشاريع. (الأمانة العامة للهيئة العليا للسياحة، 2003)

2.2. تحديات تحقيق التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية بالصحراء الجزائرية: تم لستخلاص عدد من التحديات الرئيسية التي تعيق التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية بالصحراء، وذلك بناء على قراءات وتحليلات متعددة:

أ- حماية التراث العمراني: عندما يشكل التراث جوهر ما تقدمه المجتمعات للزوار، يصبح الحفاظ عليه ضرورة أساسية، يتمثل التحدي الأكبر في برامج التنمية السياحية المستدامة للمناطق التراثية في ضمان أن نمو السياحة لا يؤدي إلى تدمير المواقع التي تجذب السياح في المقام الأول، ورغم أن السياحة تعتبر صناعة "نظيفة" لا تفرز ملوثات سامة أو مخلفات صناعية، إلا أن لها آثارا بيئية واجتماعية كبيرة، نظرا لمتطلبات البنية التحتية من طرق، مطارات، إمدادات مياه، وخدمات عامة، مما قد يؤثر على النظام البيئي والمجتمعات المحلية.

ب- نقص المعلومات: يمثل نقص المعلومات الدقيقة عن المدن الأثرية تحديا كبيرا في جهود الحفاظ على التراث العمراني، لابد من توفر بيانات موثوقة عن تاريخ هذه المدن، إلى جانب وضع ضوابط محددة لاستخدامها، ومن أبرز المشكلات في هذا السياق هو غياب برامج توثيق وتسجيل منظمة، إضافة إلى نقص الأبحاث حول الجوانب المختلفة للسياحة، مثل تفضيلات الزوار والتأثيرات البيئية، الثقافية، والاجتماعية، كما أن غياب الإحصاءات الدقيقة حول الحركة السياحية الداخلية والدولية، وحجم الأنشطة السياحية الحالية والمستقبلية، يعيق تطوير سياسات فعالة لتنمية القطاع السياحي وتسويقه وإدارته.

ج- التدريب الفني: تعاني المدن الجنوبية من نقص في المهارات والخبرات اللازمة لضمان الإدارة الفعالة للموارد التراثية، وتقديم منتجات سياحية ذات جودة عالية، ويعد تطوير الكفاءات المحلية في مجال السياحة الثقافية والبيئية من المهام الأساسية التي يجب أن تحظى بدعم التعاون الدولي في هذا المجال، لضمان تحقيق التنمية المستدامة وحماية التراث للأجيال القادمة.

د- ضعف إدارة المواقع التراثية: غياب خطط واضحة لإدارة تدفق الزوار وتوفير الخدمات الأساسية التي يحتاجونها في معظم المدن التراثية، والإدارة غير الفعالة للسياحة، والتي قد تؤدي إلى الإضرار بالمواقع التراثية، مما يؤثر على أصالتها وتميزها، خاصة في ظل ارتباط السياحة بالتطور العمراني غير المنظم.

ه- سلوك المجتمع المدني: قلة الوعي بأهمية الحفاظ على المباني التراثية، إلى جانب عدم تعاون بعض السكان مع الجهات المختصة بالتطوير، إما لرغبتهم في بناء منشآت حديثة أو بسبب ارتفاع أسعار الأراضي في المناطق التراثية، وضعف إدراك المجتمع المحلي لقيمة السياحة التراثية، وعدم استشعارهم للمردود الاقتصادي الذي يمكن أن يعود عليهم من خلال المشاركة في عمليات التطوير، ونقص الوعي بأهمية الحفاظ على التراث العمراني لدى بعض المسؤولين عن تطوير هذه المناطق.

و- القوانين والتشريعات: غياب التشريعات المنظمة لإنشاء المباني داخل المناطق التراثية، مما يهدد بانتهاك الهوية المعمارية لهذه المدن، وعدم وجود سياسات واضحة للتعامل مع المساكن والأحياء التقليدية والمناطق المحيطة بها، بالإضافة إلى افتقار آليات واضحة لإعادة بناء المباني التراثية المتهدمة، وغياب قوانين تحدد مسؤوليات الدولة، الجهات المختصة، والأفراد في الحفاظ على المباني التراثية، خاصة أن معظم هذه القصور تعود إلى ملكيات خاصة.

ز- التمويل: تفقد العديد من القصور التراثية قيمتها نتيجة التدهور الناجم عن الإهمال أو نقص الصيانة، تؤدي الزيارات المتزايدة إلى ارتفاع تكاليف الصيانة، بينما يؤدي نقص التمويل إلى تفاقم تدهور هذه المدن.

ح- التسويق: يقتصر استغلال بعض المباني التراثية التي تم ترميمها على الاستخدامات الثقافية، مثل تحويلها إلى متاحف أو مراكز ثقافية، دون البحث عن سبل توظيفها اقتصاديا لضمان تحقيق موارد مالية مستدامة.

ط- التنسيق والشراكة: ضعف التواصل مع المنظمات والهيئات الدولية المعنية بالحفاظ على التراث، مما يحد من فرص الاستفادة من الخبرات العالمية في هذا المجال، وغياب التنسيق الفعال بين مختلف القطاعات، مثل الجهات الحكومية، القطاع الخاص، والمجتمع المدني، مما يؤدي إلى تداخل الأدوار وضعف الكفاءة في إدارة التراث.

ي- التأثير البيئي السلبي: تؤثر السياحة على أنماط حياة المجتمعات المحلية من خلال زيادة عدد الزوار والضغط على البنية التحتية للمدن التراثية، ولا تقتصر التحديات على التأثير المباشر للزوار، بل تمتد إلى توقعاتهم العالية فيما يتعلق بجودة الخدمات المقدمة، مما يفرض ضغوطا إضافية على التوازن البيئي لهذه المناطق.

ومما سبق رأينا ان التنمية السياحية المستدامة في المناطق التراثية تواجه عدة تحديات متشابكة، من أبرزها ضعف الوعي المجتمعي بأهمية الحفاظ على التراث، إلى جانب نقص الإدراك لدى بعض المسؤولين بأهمية تبني استراتيجيات فعالة لحماية هذه المواقع وضمان استدامتها.

3.2. دور المجتمع المدني في استدامة مشروعات الحفاظ على التراث العمراني: المنهجيات الحالية للحفاظ على التراث العمراني تشير إلى غياب دور مؤسسات المجتمع المدني والمشاركة الفعالة للسكان المحليين في مشروعات الحفاظ، مما يؤدي إلى حماية المباني التراثية دون تحقيق تنمية شاملة للمناطق التراثية. المنهجية المقترحة تسعى لحل هذه المشكلة عبر دمج آليات الحفاظ على التراث مع تعزيز التنمية السياحية المستدامة. أبرز النقاط التي تم التأكيد عليها هي: - المشاركة المجتمعية أساسية في الحفاظ على التراث. - مشاركة السكان المحليين تساهم في استدامة الجهود من خلال استثمار الطاقات البشرية. - عمليات الحفاظ تتطلب جمع بيانات دقيقة تشمل الجوانب العمرانية والاجتماعية.

- المواثيق الدولية تدعم مشاركة المجتمع المدني في الحفاظ على التراث. - تعزيز المشاركة يعزز الانتماء للمجتمعات المحلية ويساهم في لستدامة المشروعات.

. (Pakdeepinit، 2007، صفحة 53)

3. التجارب العالمية للحفاظ على التراث العمراني:

تم اختيار هذه التجارب العالمية لكونها تتشارك في عدة جوانب رئيسية وهي:

- امتلاكها تراثا عمرانيا فريدا يستمد أصالته من البيئة المحلية الصحراوية، سواء من حيث أسلوب البناء أو المواد المستخدمة.
- احتواؤها على محمية طبيعية غنية بالتنوع البيولوجي.
- وجود مجتمع محلي يتميز بخصائصه الثقافية الفريدة، بالإضافة إلى إنتاجه لمواد ومنتجات تعكس هويته المتميزة.

1.3. مشروع تطوير الدرعية في الرياض، المملكة العربية السعودية:

أ- التعريف بالدرعية: تقع الدرعية في وسط الجزيرة العربية، تحديدا في الجزء الشمالي الغربي، على بعد 20 كم من مدينة الرياض، ترتفع عن سطح البحر بحوالي 700م، ويحدها من الشرق مدينة الرياض، ومن الغرب وادي حنيفة، بينما يحدها من الشمال طريق العمارية، ومن الجنوب مركز عرقة. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009، صفحة 3)

ب-أسباب اختيار مشروع تطوير الدرعية في الرياض:

وفي سياق استلهام التجارب الدولية الناجحة في إحياء التراث وتنمية السياحة، تعد تجربة تطوير مدينة الدرعية السعودية نموذجا رائدا، إذ ارتكزت على ترميم المباني التاريخية بمواد تقليدية، مع دمج تقنيات حديثة لضمان الاستدامة، إضافة إلى تطوير مرافق سياحية وثقافية عصرية تعكس الهوية المحلية، ويظهر هذا النموذج إمكانية الاستفادة من هذه التجربة في المدن الصحراوية الجزائرية، من خلال إعادة تأهيل القصور والقصبات وتحويلها إلى مراكز سياحية وثقافية، مع تعزيز السياحة البيئية والتجريبية، وربطها ببرامج تسويق رقمي فعالة، بما يساهم في تحويل هذه المناطق إلى وجهات سياحية واقتصادية مستدامة، تحافظ على الطابع المحلي وتوفر فرصا جديدة للتنمية. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009، الصفحات 24-25)

تقدم الدرعية نموذجا متكاملا للتنمية السياحية المستدامة التي تحافظ على التراث وتحقق التنمية الاقتصادية والبيئية

ج- الخصائص البيئية والطبيعية في الدرعية: يعد وادي حنيفة من أبرز المعالم الطبيعية المميزة لمنطقة الدرعية، إذ يضم معظم المظاهر المتبقية للبيئة التقليدية، بما في ذلك القرى والبساتين والمزارع المنتشرة على امتداده، كما يتميز الوادي بمقوماته الزراعية والتراثية والترويحية، مما يجعله مؤهلا للتطوير كمصدر رئيسي للترفيه والزراعة والتثقيف لسكان مدينة الرياض (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009، صفحة 30).

د- التراث العمراني في للدرعية: تتألف للدرعية القديمة من مجموعة من الأحياء الواقعة على ضفاف وادي حنيفة، مثل حي الطريف وحي البجيري، ويفصل بينها التكوينات الطبيعية من أودية ومزارع، يتميز كل حي بنسيج عمراني متجانس من الوحدات السكنية المتراصة، تتخللها شوارع وأزقة متعرجة، في حين تضم أبرز المنشآت العامة القصور والمساجد والساحات والميادين، شيدت الدرعية القديمة باستخدام مواد مستمدة من البيئة المحلية، مثل الحجارة والطين وجذوع الأشجار، وتعتمد جميع المباني على أسلوب بناء موحد، حيث تستخدم الحجارة في الأساسات

والأعمدة، بينما تبنى الجدران بالطوب اللبن، أما الأسقف فتدعم بجذوع النخيل والأشجار مع استخدام جريد النخيل لتغطيتها. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009، صفحة 44)

الصورة (01): التراث العمراني بالدرعية "حي الطريف وحي البجيري" (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009، صفحة 43)

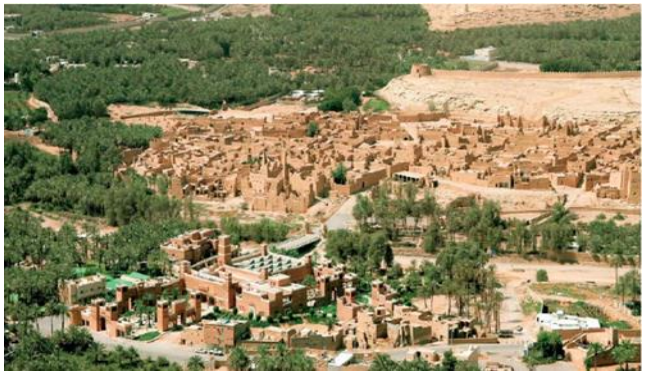

ه- مشروع الحفاظ على التراث العمراني وتطوير الدرعية للتاريخية: اعتمدت الهيئة للعامة لتطوير مدينة الرياض في خطتها لتطوير الدرعية على الاستفادة من المزايا الفريدة التي تتمتع بها المنطقة، وأظهرت الدراسات التي أجرتها الهيئة أن تطوير الدرعية التاريخية لا يمكن أن يتم بمعزل عن تطوير للدرعية الحديثة، مما يستدعي تبني نهج متكامل يجمع بين الحفاظ على التراث العمراني وتعزيز التنمية الحديثة. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009، صفحة 48)

ه.1. هدف برنامج التطوير: يهدف البرنامج الذي أعدته الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض إلى إعادة إعمار الدرعية للتاريخية وتحويلها إلى مركز ثقافي وحضاري بارز على المستوى الوطني، مع مراعاة خصائصها التاريخية والثقافية والعمرانية والبيئية، كما يسعى البرنامج إلى تعزيز قدرة الدرعية على التكيف مع متطلبات العصر، وجعلها وجهة سياحية متميزة من خلال الحفاظ على تراثها التاريخي.

ه.2. الجهات المشاركة في مشروع التطوير:

الجهات الحكومية: تتولى الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض مسؤولية التخطيط والإنشاء والإدارة الحضرية والتشغيل، إضافة إلى تنسيق الجهود بين الجهات الحكومية والأفراد والقطاع الخاص، كما تشرف الهيئة على بناء شبكات المرافق العامة والطرق، أما الجهات الحكومية الأخرى المعنية فتتولى إدارة وتشغيل بعض المرافق والأنشطة، بالإضافة إلى استقطاب الاستثمارات الاقتصادية والسياحية لتعزيز مكانة الدرعية التاريخية.

القطاع الخاص: يساهم في الاستثمار ضمن بعض برامج وأنشطة التطوير، وفقا للمخطط الشامل الذي أعدته الهيئة لتطوير الدرعية.

مؤسسات المجتمع المدني: تعمل على تنظيم المبادرات التطوعية من قبل الأفراد والمؤسسات بهدف تعزيز الوعي والثقافة البيئية لدى السكان المحليين، وتشجيعهم على المحافظة على التراث العمراني للدرعية التاريخية.

الخبراء: تم إشراك مجموعة من الاستشاريين الدوليين لدراسة الوضع الحالي، وإعداد التصورات التطويرية، ووضع برنامج تنفيذي مع تقدير تكلفته، ومن بين الجهات الاستشارية المشاركة: "وكالة التراث والتنمية" من المغرب، و"جماعة تصميم المجتمعات" من مصر. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2008، صفحة 28)

ه.3. استراتيجية تنفيذ مشروع تطوير الدرعية التاريخية: وضعت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض استراتيجية متكاملة لتطوير الدرعية التاريخية، تهدف إلى إعادة توظيف تراثها العمراني والطبيعي بما يتناسب مع مكانتها التاريخية والسياسية، مع دمجها في الحياة اليومية للمجتمع المحلي، وقد حرصت الاستراتيجية على الالتزام بالقوانين والتشريعات الخاصة بحماية التراث الطبيعي والثقافي، مع مراعاة خصوصية حي الطريف كمعلم معماري فريد يعكس جزءا مهما من تاريخ المملكة الحديث.

وتتضمن استراتيجية التنفيذ الخطوات التالية:

- تحليل الوضع الراهن من خلال إجراء مسح ميداني للدرعية القديمة والحديثة، وجمع البيانات المتعلقة بالسكان، والمزارع، والعمران، والأنشطة الاقتصادية القائمة.

– إنشاء إدارة متخصصة للإشراف على تراث الدرعية التاريخية، مع إعداد دراسات متخصصة وتنظيم دورات تدريبية لتأهيل الكوادر العاملة في مجال حماية التراث العمراني.

– تعزيز الوعي المجتمعي عبر وضع خطط لرفع مستوى وعي السكان بأهمية التراث، وتشجيع مشاركتهم الفاعلة في عمليات التطوير، بالتعاون مع مؤسسات المجتمع المدني.

– تشجيع استثمار القطاع الخاص من خلال تحفيز مساهمته في تطوير المنطقة، واستغلال الإمكانيات الطبيعية والحضارية لوادي الدرعية، بما ينسجم مع بيئته الفريدة. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2008، صفحة 30)

مراحل تنفيذ استراتيجية تطوير الدرعية: تم التخطيط لتنفيذ استراتيجية تطوير الدرعية على أربع مراحل رئيسية على النحو التالي:

المرحلة الأولى: التركيز على تطوير حي الطريف وتحويله إلى منطقة متحفية، وذلك من خلال ترميم وتأهيل عدد من المباني التاريخية لتحتضن أنشطة متحفية وسياحية وثقافية تعكس تاريخ الدولة السعودية الأولى، كما تتضمن هذه المرحلة إنشاء مركز ثقافي علمي في حي البجيري.

المرحلة الثانية: إنشاء مركز ترفيهي في حي البجيري حول الساحة المركزية، يضم سوقا للحرف التقليدية، ومجمعا للمطاعم، ومجموعة من المحلات التجارية، بالإضافة إلى مكاتب ووحدات سكنية، كما تشمل إعادة تأهيل المباني الطينية في الحي لاستخدامها كأماكن إقامة فندقية للسياح، مع الحفاظ على طابعها التراثي المميز.

المرحلة الثالثة: تطوير مشاريع ثقافية وتراثية وسياحية في كل من حي الطريف وحي البجيري، من خلال إنشاء شبكة طرق متكاملة، ومرافق عامة، ومواقف سيارات، ولوحات إرشادية تسهم في تحسين تجربة الزوار.

المرحلة الرابعة: تخصيص هذه المرحلة للأنشطة والفعاليات الموسمية، التي تشمل عروضا تاريخية وثقافية تسلط الضوء على تاريخ الدولة السعودية، إضافة إلى احتفالات شعبية تهدف إلى تنشيط المنطقة بأسلوب يتماشى مع بيئتها الثقافية والعمرانية. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2010، صفحة 23)

ه.4. تمويل مشروع تطوير الدرعية:

الدعم الحكومي: خصصت الحكومة السعودية مبلغ 14 مليون ريال سعودي لتمويل المرحلة الأولية من المشروع، والتي تشمل التخطيط والدراسات اللازمة.

مشاركة القطاع الخاص: تم طرح عدد من المشروعات الاستثمارية للقطاع الخاص، بحيث يساهم في تمويل وتنفيذ بعض المشاريع، مع ضمان الحفاظ على التراث العمراني والطبيعي للمنطقة.

ه.5. المراحل التنفيذية لتطوير الدرعية التاريخية:

تم تقسيم الخطة التنفيذية لمشروع تطوير الدرعية إلى ثلاث مجموعات رئيسية من المشاريع وهي: مشاريع حي الطريف، مشاريع حي البجيري، مشاريع تطوير الطرق وشبكات المرافق العامة. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2010، صفحة 26)

أولا: مشاريع حي الطريف: تم وضع مشاريع تطوير حي الطريف وفق منهجية دقيقة، تراعي الحفاظ على التراث العمراني خلال عمليات الترميم والتأهيل وإعادة الاستخدام، كما تم التأكيد على أن جميع أعمال التطوير تتماشى مع المعايير الدولية التي أقرتها اليونسكو لحماية مواقع التراث الثقافي لضمان استدامة القيمة التاريخية والمعمارية للحي. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009، صفحة 45)

الصورة (02): حي الطريف بالدرعية. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009، صفحة 29)

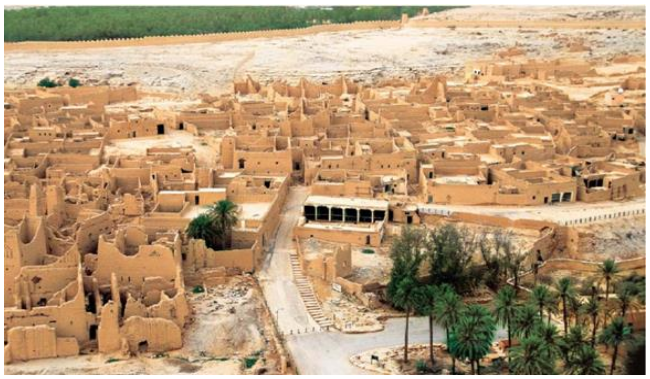

المشروعات المنفذة في حي الطريف تشمل:

أ. **مشروع التوثيق البصري والأثري:** يتضمن إجراء رفع مساحي للمباني الأثرية وتوثيقا دقيقا للعناصر المعمارية، وذلك بلستخدام وسائل متنوعة مثل الرسومات والصور والتصوير التلفزيوني.

ب. **مشروعات الترميم الأثري:** نفذت على أربعة مستويات رئيسية:

– الترميم الشامل الذي يشمل جميع العناصر الداخلية والخارجية للمبنى.

– الترميم وإعادة التأهيل حيث يتم ترميم العناصر الداخلية والخارجية للمبنى وتجهيزه ليكون مناسبا للاستخدامات المتحفية والإدارية.

– ترميم الأطلال وذلك بالحفاظ على الأجزاء المتبقية من المبنى، وتعزيزها لضمان حمايتها من التدهور.

– ترميم الواجهات ويقتصر على إصلاح الواجهات المطلة على الشوارع والممرات (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2010، صفحة 42).

ج. **المشروعات الجاري تنفيذها وفقا للهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض:**

– متحف الدرعية في قصر سلوى: يسلط الضوء على تاريخ الدولة السعودية الأولى، ويشمل عروضًا للصوت والضوء على الأطلال الخارجية للقصر.

– متحف الحياة الاجتماعية: يضم مجموعة من العناصر التي تعكس مظاهر الحياة اليومية، العادات والتقاليد، والأدوات المستخدمة خلال فترة ازدهار الدولة السعودية.

– مركز استقبال الزوار مبنى حديث يقع عند مدخل حي الطريف، يهدف إلى تقديم خدمات الإرشاد السياحي.

– المتحف الحربي وسوق الطريف يركزان على عرض المنتجات الحرفية التقليدية، إلى جانب مركز إدارة الطريف.

– تنسيق المواقع في حي الطريف يشمل تطوير الممرات والفراغات العامة داخل الحي، مع تحسين الرصف والإضاءة بطرق تبرز القيمة التراثية للموقع. كما تم تصميم البنية التحتية وشبكات الخدمات بما يتناسب مع الطابع العمراني والأثري للطريف. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2010، صفحة 44)

ثانيا: مشاريع حي البجيري: لم يتم تنفيذ هذه المشروعات بعد، لكنها دخلت مرحلة التنفيذ، حيث تهدف الخطة إلى تحويل حي البجيري إلى بوابة ثقافية وخدمية لمدينة الدرعية التاريخية، يشمل ذلك إنشاء مؤسسات ثقافية، وتطوير الساحات والميادين والمتنزهات، إلى جانب تزويدها بطرق وممرات حديثة، بالإضافة إلى مداخل ومواقف سيارات متطورة.

ثالثا: مشاريع الطرق والمرافق: سيتم دعم مشاريع التطوير الثقافية والتراثية والخدمية والسياحية الجارية في حي الطريف وحي البجيري من خلال نظام متكامل للطرق وشبكات المرافق العامة، بالإضافة إلى مواقف السيارات واللوحات الإرشادية والتعريفية، وقد تم تصميم هذه البنية التحتية بما يتوافق مع الاعتبارات البيئية لمدينة الدرعية التاريخية.

كما استكملت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض عمليات نزع الملكيات الخاصة الواقعة ضمن نطاق المشروع، لاستخدامها في توسعة الطرق وإنشاء مواقف السيارات والساحات المفتوحة والمرافق الخدمية، ومن أبرز الإنجازات التي تم تنفيذها:

– اكتمال 96% من الطرق والمداخل المؤدية إلى الدرعية التاريخية.

– الانتهاء من تنفيذ طريق وادي حنيفة في الجزء الممتد داخل حدود الدرعية التاريخية بطول 1.6 كيلومتر.

– اكتمال الأعمال النهائية لتنفيذ شبكات المرافق العامة في المنطقة الممتدة من مدخل الدرعية الجنوبي عند ميدان الأمير سلمان وصولا إلى نهاية طريق الإمام محمد بن سعود شمالا، بما في ذلك الأحياء الواقعة ضمن هذه المساحة، وتشمل هذه الشبكات خدمات المياه، والكهرباء، والصرف الصحي، وتصريف السيول، والاتصالات، والإنارة، وغيرها من المرافق الأساسية. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2009، صفحة 56)

ه.6. خلاصة تجربة تطوير الدرعية في الرياض: وضعت الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض برنامجا شاملا لتطوير الدرعية القديمة، متماشيا مع القوانين والتشريعات الخاصة بحماية التراث الطبيعي والثقافي، وقد نجح هذا البرنامج في تحقيق التنمية المستدامة من خلال عدة محاور رئيسية أبرزها:

- **رفع الوعي المجتمعي والمشاركة المحلية:** تم وضع خطة لتعزيز وعي السكان بأهمية التراث، وتشجيع مشاركة الأفراد والمجتمع المحلي في عمليات التطوير.

- **دراسة شاملة للوضع الراهن:** شملت هذه الدراسة المسح الميداني لكل من الدرعية القديمة والحديثة، وجمع معلومات حول السكان، والمزارع، والعمران، والاقتصاد المحلي.

- **الالتزام بمحددات الحفاظ على التراث:** تم التأكيد على أن أعمال الترميم والتأهيل تتماشى مع المعايير العالمية لليونسكو في حماية مواقع التراث الثقافي.

- **إنشاء إدارة متخصصة لتراث الدرعية:** تم تأسيس جهة مستقلة للإشراف على مشروعات التطوير، وإعداد دراسات متخصصة، وتنظيم دورات تدريبية للعاملين في مجال الحفاظ على التراث.

- **تشجيع القطاع الخاص على المساهمة:** تمت دعوة القطاع الخاص للمشاركة في تمويل وتنفيذ مشاريع استثمارية محددة، تضمن الحفاظ على الطابع التراثي والعمراني للدرعية التاريخية.

على الرغم من أن المشروع أشرفت على تخطيطه وتنفيذه جهة حكومية، إلا أنه لم يغفل دور مؤسسات المجتمع المدني في عملية التطوير، بالإضافة إلى التركيز على التوعية والتدريب للمجتمع المحلي، ومن خلال استراتيجية التطوير تمت إعادة تأهيل التراث العمراني لاستخدامه في الخدمات الفندقية والأنشطة المتحفية، كما تم توظيف التراث الثقافي في تنشيط الأسواق الشعبية وإقامة الفعاليات الاحتفالية التقليدية.

وبالنظر إلى ما سبق نجد أن المشروع شمل القطاعات الثلاثة: الحكومة، والقطاع الخاص، والمجتمع المدني، ومع ذلك فإن تحقيق الاستدامة يتطلب ضمان استفادة المجتمع المحلي اقتصاديا من المشروع، وهو ما لم يتجلى بعد بوضوح، نظرا لأن المشروع لا يزال قيد التنفيذ، ولتحقيق ذلك يمكن لشتراط لستخدام العمالة المحلية المدربة في تنفيذ المشاريع الاستثمارية، ما يضمن عوائد اقتصادية مبلشرة للسكان، ويعزز دورهم في الحفاظ على المشروع على المدى الطويل. (الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض، 2010، صفحة 48)

2.3. تجربة التنمية السياحية المستدامة في واحة سيوة "إدرار إملال":

أ- التعريف بواحة سيوة: تعد واحة سيوة واحدة من أكبر المنخفضات في الصحراء الغربية بمصر، وتتبع إداريا محافظة مرسى مطروح، تقع الواحة في الجنوب الغربي لمدينة مرسى مطروح، على بعد نحو 306كلم، بينما تفصلها عن القاهرة مسافة تقدر بحوالي 820كلم، كما تبعد عن الحدود الدولية بين مصر وليبيا نحو 65 كلم، وتقوم مدينة سيوة الأصلية فوق تل مرتفع، فتبدو من مسافة بعيدة كحصن محصن أو كتلة معمارية متجانسة، لا تحتوي المدينة على مداخل أو ممرات سوى ممر وحيد، أما نوافذها فهي فتحات صغيرة مصممة بأسلوب هندسي فريد على هيئة مثلثات، تتألف منازلها من عدة طوابق حيث يصل إجمالي طبقات البلدة إلى ثماني طبقات. (الدميري، 2005، صفحة 5)

ب- أسباب إختيار تجربة التنمية السياحية المستدامة في واحة سيوة:

تعد واحة سيوة بمصر نموذجا ناجحا في تحقيق التوازن بين الحفاظ على التراث والتنمية المستدامة في بيئة صحراوية مشابهة لمدن الجنوب الجزائري من حيث المناخ والتضاريس، فقد اعتمدت سيوة على ترميم مبانيها باستخدام مواد محلية تقليدية مثل الكرشيف، ما ساعد في الحفاظ على طابعها المعماري وتعزيز الاستدامة البيئية كما ارتكزت التنمية السياحية في سيوة على استثمار الموارد الطبيعية كعيون المياه الكبريتية والمنتجات الزراعية المحلية، إلى جانب تطوير السياحة البيئية والعلاجية، وتمثل مشاركة السكان المحليين في المشاريع السياحية والحرف التقليدية أحد عوامل نجاح التجربة، فضلا عن اعتماد حلول تكنولوجية مستدامة مثل الطاقة الشمسية، ويمكن تكييف هذه التجربة في السياق الجزائري من خلال تطوير نماذج محلية تتنلسب مع الخصوصيات الثقافية والاجتماعية للمدن الصحراوية، بما يعزز من قدرتها على جذب السياحة البيئية والثقافية ويحولها إلى رافد اقتصادي حيوي.

ج- الخصائص الطبيعية والبيئية: تعد واحة سيوة أقدم واحات مصر، حيث تقع تحت مستوى سطح البحر المتوسط بما يتراوح بين 17 و20م، يحد الواحة من الشمال سلسلة من التلال والهضاب التي ترتفع نحو 100م، فوق مستوى المنخفض، بينما تحدها من الجنوب كثبان رملية ممتدة من الغرب إلى الشرق، تشكل جزءا من بحر الرمال الأعظم، ويتوسط المنخفض أربع بحيرات مالحة، وهي: بحيرة المعاصر في الشمال الشرقي، وبحيرة الزيتون في الشرق، وبحيرة سيوة غرب مدينة شالي، وبحيرة المراقي في الغرب. (جابي ، 2012، صفحة 12)

د- مشروع الحفاظ على التراث الطبيعي والعمراني في إدرار إملال: يعد "إدرار إملال" من أبرز المنتجعات البيئية في مصر، وقد قامت شركة "نوعية البيئة الدولية" بتنفيذه، تم اختيار موقع المنتجع على أنقاض قرية قديمة، تحيط بها جبال، أبرزها جبل يعرف باسم "الجبل الأبيض" أو "إدرار

إملال" باللغة الأمازيغية، وهي اللغة المحلية التي لا يزال بعض السكان يستخدمونها، كما تمتد خلف المنتجع بحيرة مالحة واسعة، يعد فندق "إدرار إملال" من أبرز النماذج التي راعت البعد البيئي في تصميمها وإنشائها، مما يجعله مثالا مميزا للفنادق البيئية المستدامة، وقد تم اختيار "إدرار إملال" كواحد من أفضل النماذج العالمية في مشروعات البيئة والتنمية المستدامة، وذلك خلال قمة الأرض التي عقدت في جوهانسبرج. (جلال الدين عارف، 2004، صفحة 20)

وقد طبق مشروع "إدرار إملال" عدة تقنيات لتحقيق التنمية السياحية المستدامة، من خلال الاعتماد على الموارد الطبيعية المحلية والحد من التأثير البيئي، ومن أبرز هذه التقنيات:

د.1. البناء بالمواد المحلية: تم تشييد المباني الرئيسية بلستخدام مواد البناء المحلية المتوفرة في سيوة، مثل "الكرشيف"، وهو حجر ملحي طبيعي يتم ربطه بنوع من الطفلة التي تعمل كمادة لاصقة، وتتميز بمقاومتها الحرارية العالية،مما يقلل من انتقال الحرارة بين للداخل والخارج، ويوفر بيئة معيشية مريحة دون الحاجة إلى تكييفات.

الصورة (03): استخدم المواد المحلية في البناء في إدرار إملال (فاروق راشد، 2001، صفحة 22)

د.2. لستخدام فلق النخيل في الأسقف: تم الاستفادة من مخلفات حدائق النخيل عبر تقطيع فلق النخيل ومعالجته بالملح لمنع تسوسه، كما تم تصميم الأسقف على شكل قباب مبنية بالكرشيف، مما يساعد في تقليل تأثير الإشعاع الشمسي وتحسين تهوية المساحات الداخلية، وبالتالي تقليل الشعور بالحرارة داخل الغرف دون الحاجة إلى أجهزة تكييف.

د.3. الاعتماد على الموارد الطبيعية في الأثاث والإضاءة: تم تصنيع الأبواب والنوافذ من الخشب غير المطلي، بينما يعتمد الإضاءة الخارجية على المشاعل النارية، والداخلية على الشموع. كما تُمنع التدخين واستخدام السيارات داخل القرية للحفاظ على البيئة. أما الأثاث، فتم تصنيعه من الموارد المحلية، حيث صُنعت الأسرة من جريد النخل وأفرع الأشجار، بينما المراتب مصنوعة من القطن المصري.

د.4. لستخدام عين جعفر كحمام سباحة طبيعي: تم تحويل "عين جعفر" وهي بئر مياه طبيعية عذبة، إلى حمام سباحة بعد كسوتها بالحجر الطبيعي المستخرج من المنطقة، مما يوفر تجربة استحمام طبيعية للنزلاء، مشابهة لما كان يفعله سكان المنطقة القدماء، دون الحاجة إلى استخدام الكلور أو أي مواد كيميائية للتطهير.

د.5. الزراعة العضوية كمصدر للغذاء: تعتمد القرية على حديقة زراعية ملحقة بالمشروع تمتد على مساحة تسعة أفدنة، حيث تتم زراعة مختلف أنواع الخضروات والفواكه بطريقة عضوية، دون استخدام أي مواد كيميائية، وتعد هذه الحديقة المصدر الأساسي لإمداد الفندق بجميع احتياجاته الغذائية، كما يعتمد المنتجع على العمالة المحلية من أبناء الواحة، حيث يعمل به 76 شخصا في مختلف التخصصات، مما يعزز التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة. (فاروق راشد، 2001، صفحة 40)

ه. عوامل نجاح مشروع إدرار إملال: حاز مشروع إدرار إملال على جوائز عالمية بفضل نجاحه في تحقيق التنمية المستدامة والحفاظ على البيئة والتراث العمراني، وفيما يلي أبرز العوامل التي أسهمت في نجاح المشروع في واحة سيوة:

ه.1. دراسة شاملة لمحمية سيوة: تم إجراء دراسة تفصيلية حول محمية سيوة، شملت البيئة الطبيعية، والسكان المحليين، وعاداتهم وتقاليدهم، وطرق البناء التقليدية، كما تم تحليل الإمكانيات البيئية والمخاطر المحتملة، وإجراء دراسة جدوى لضمان نجاح المشروع.

ه.2. إشراك السكان المحليين: تم الاعتماد على العمالة المحلية دون اللجوء إلى موظفين من خارج الواحة، حيث تولت شركة "نوعية البيئة الدولية " (EQI)تدريب أهالي سيوة، مما وفر 600 فرصة عمل مباشرة وغير مباشرة،كما تم تأهيلهم بمهارات إدارية، مما مكنهم من إدارة الفنادق والمرافق السياحية.

ه.3. إحياء الحرف التقليدية: تم لستخدام تقنيات البناء التقليدية في الواحة، مع الاعتماد على المواد الطبيعية المحلية مثل الطين والملح الصخري، وهو ما ساهم في الحفاظ على التراث المعماري وخلق فرص عمل جديدة للحرفيين،كما أتاح المشروع فرصا اقتصادية أخرى، مثل تجهيز المواد الأولية، وصناعة الأثاث والمشغولات اليدوية، إضافة إلى خدمات النقل والجولات السياحية.

ه.4. استراتيجيات التسويق: اعتمد المشروع على التسويق المباشر من خلال استضافة منظمي الرحلات وشخصيات مؤثرة في المجتمع المحلي والدولي، بهدف الترويج للمنتجع بطريقة حصرية تحافظ على توازن البيئة وعدد الزوار.

ه.5. الأثر البيئي للمشروع: تم تصميم الفنادق بحيث تستهلك أقل قدر من الكهرباء، وتم بناؤها باستخدام مواد طبيعية محلية، كما اعتمد المشروع أنظمة بيئية مستدامة، مثل أنظمة معالجة المخلفات القابلة للتحلل، واستخدام تقنية "الأرض الرطبة" لمعالجة مياه الصرف الصحي بطريقة طبيعية عبر زراعات معينة مثل البوص، اللوتس، والبردي.

ه.6. الشراكات ودعم المشروع:

– **الحكومة المصرية:** قدمت الأرض للشركة بأسعار مخفضة، وقامت بتقسيمها لاستخدامات سياحية.

– **الخبراء:** تم إشراك متخصصين من مجالات مختلفة، مثل البيئة، والاجتماع، والإدارة، لضمان تنفيذ المشروع وفق أفضل المعايير.

– **المجتمع المحلي:** تم دمج سكان سيوة في المشروع، سواء أثناء التنفيذ أو في مرحلة الإدارة، من خلال التعاون مع مؤسسات المجتمع المدني المحلية.

ه.7. التمويل: ساهمت عدة جهات في تمويل المشروع، منها الحكومة المصرية، والمؤسسات المالية الدولية، بالإضافة إلى استثمارات من القطاع الخاص، مما ساعد في تحقيق الاستدامة المالية للمشروع. (جابي ، 2012، صفحة 26)

ه.8. خلاصة تجربة التنمية السياحية المستدامة في واحة سيوة "إدرار إملال": نجح مشروع إدرار إملال في تحقيق التنمية السياحية المستدامة من خلال تدريب السكان المحليين، والحفاظ على التراث العمراني بلستخدام مواد البناء التقليدية، وتقليل لستهلاك الطاقة في الفنادق، إضافة إلى إشراك المجتمع المحلي لضمان توزيع العوائد الاقتصادية بشكل عادل، كما ساهمت استراتيجيات التسويق الحصرية في استقطاب الزوار المهتمين بالسياحة البيئية، مما عزز من استدامة المشروع واحترام التقاليد المحلية والحفاظ على الهوية البيئية والثقافية للواحة.

3. دراسة حالة – تيميمون، وادي سوف، وادي مزاب:

1.3. أسباب اختيار تيميمون ووادي سوف ووادي مزاب كحالات دراسية:

– تتميز هذه المناطق بتراثها العمراني والثقافي الفريد، والذي يواجه تحديات متزايدة بسبب تدهور المباني التقليدية القديمة، وهجرة السكان منها بالإضافة إلى الامتداد العشوائي للعمارة الحديثة الذي يهدد الطابع الأصيل لهذه المدن والقصور.

– تزايد الاهتمام بالسياحة الثقافية والتراثية والبيئية التي تستهدف السائح الفردي أو المجموعات الصغيرة الباحثة عن تجارب مميزة، وهو ما توفره هذه المناطق بفضل معالمها التاريخية الممتدة عبر عصور مختلفة، إلى جانب تنوعها البيئي الفريد وخصائصها الطبيعية الجذابة.

– تتمتع هذه المدن والقصور بأنماط الحياة التقليدية والعادات المحلية المتميزة، والتي تنعكس في العمارة، والحرف اليدوية، والملابس، وأساليب العيش اليومية.

– وجود جهود من مؤسسات المجتمع المدني والمبادرات المحلية التي تسعى للحفاظ على التراث العمراني والثقافي، وتعزيز التنمية السياحية المستدامة في هذه المناطق.

– توافر نماذج بارزة للمنتجعات البيئية والمشاريع التي تعتمد على العمارة التقليدية وأساليب البناء المحلية، مما يعزز جاذبية هذه المناطق للسياحة البيئية والثقافية.

2.3. واحة تيميمون: تيميمون، المعروفة بالواحة الحمراء، هي عاصمة إقليم قورارة، أحد الأقاليم الثلاثة لولاية أدرار (توات، تيديكلت، وقورارة)، وتقع في الجزء الشمالي من ولاية أدرار، على بعد 210 كم من مقر الولاية، تمتد على مساحة تقدر بـ 9,936 كم^2، ويبلغ ارتفاعها عن سطح البحر ما بين 250 و350م، ويعود اسمها حسب الروايات إلى الرجل الصالح ميمون، الذي قدم من المغرب ولستقر بداية في ولاية بشار، قبل أن ينتقل لاحقا إلى تيميمون، كان نشاطه الأساسي في المنطقة الزراعة، التي اعتمد عليها السكان لكسب قوتهم آنذاك، حيث كانت تيميمون مركزا نشطا للمبادلات التجارية، وما زالت تحتفظ بهذه المكانة حتى اليوم، حيث تشكل مصدر رزق للعديد من التجار وسكان المنطقة، وبعد وفاة ميمون، أطلق على المنطقة اسم تيميمون تكريما له. (معروف، 2011، صفحة 266)

الصورة (4) واحة تيميمون (دلدلي، 2015، صفحة 21)

– **المقومات السياحية لمنطقة تيميمون:** تعد منطقة تيميمون إحدى الوجهات السياحية البارزة التي تتميز بجمالها الطبيعي وتراثها الثقافي العريق، فهي مدينة تنفرد بمزيج فريد من المناظر الصحراوية الخلابة، والهندسة المعمارية التقليدية المحلية المستوحاة من الطراز الاسلامي إضافة لتأثيرات القادمة من الجنوب، بالإضافة إلى مجموعة العادات والتقاليد التي تبرز هوية سكانها:

أ. المقومات الطبيعية في منطقة تيميمون:

أ.1. سبخة تيميمون: تقع غرب المدينة أسفل بساتين النخيل وتمتد بطول 80 كم، حيث تشكلت نتيجة الامتداد الطبيعي لواد "يشيدون" وتعاقب عدة سبخات صغيرة مثل "الدلول" جنوبا، "أولاد محمود" شرقا، و"شروين" غربا، تعرف باسم "سبخة القورارة" نظرا لاتساعها وغزارة مياهها سابقا، وقد وصفها ابن خلدون بأنها منخفض مغلق يمتد 82 كم ويخترق سهل مقيدن، تحده شمالا رمال العرق الكبير، تتميز السبخة بسطحها الأبيض المتلألئ وأجرافها المحرزة، ما يمنحها مظهرا جماليا فريدا، خاصة عند تأملها من سطح فندق قورارة المجاور لواحات النخيل.

أ.2. واحات النخيل: تشتهر تيميمون بواحاتها المنتشرة حول المدينة وفي قصورها، حيث تنتج أنواعا مختلفة من التمور، وتضفي هذه الواحات المتناثرة وسط الكثبان الرملية والصحاري القاحلة، طابعا سياحيا جذابا يجعل المنطقة وجهة مميزة لعشاق الطبيعة الصحراوية.

أ.3. العرق الغربي الكبير: يمتد العرق الغربي الكبير بمحاذاة مدينة تيميمون، ويغطي مساحة تفوق 80,000 كم^2، حيث يقع بين الأطلس الصحراوي شمالا، ووادي ميزاب ومنطقة المنيعة شرقا، وهضبة تادمايت جنوبا، أما من الجهة الغربية فتحده واحات توات، ويمتد جنوبا عبر وادي قصور طلمين، وصولا إلى قصور تينركوك شمالا، مرورا بمناطق سمجان، أولاد سعيد، تقانت وغيرها. (دلدلي، 2015، صفحة 39)

ب.المقومات البشرية في منطقة تيميمون:

ب.1. نظام السقي الفقارة: يعود تاريخ الفقارة إلى عام 745 ميلادي، وهناك من يرجعه إلى ما قبل 7 سنوات من الهجرة، وتعد فقارة "أمغير" في إقليم قورارة، التي يعود تاريخها إلى أكثر من 500 عام، مثالا على قدرة الإنسان على التكيف مع البيئة، يضم إقليم قورارة حوالي 224 فقارة مستعملة، بينما تحتوي منطقة تيميمون، المعروفة بـ"الواحة الحمراء"، على 18 فقارة نشطة فقط، إذ تعرضت العديد منها للانهيار وامتلأت بالأتربة بسبب الرياح القوية، وانعدام الصيانة، وقلة تساقط الأمطار.

ب.2. قصور تيميمون: تضم مدينة تيميمون أكثر من 30 قصرا، وهي تجمعات سكانية محلية مبنية بالطوب الأحمر، تحيط بها الحقول والواحات، حيث يعتمد سكانها على الزراعة التقليدية، يعود تاريخ بعض القصور إلى القرن الـ12 ميلادي، في حين أن بعضها أقدم مثل قصر "أغزر" الذي يقع على بعد 40 كم من المدينة، ويضم مغارة كبيرة تعد وجهة سياحية بارزة، أما قصر "أغلاد"، الذي يبعد 60 كم شمال تيميمون، فيتميز بتصميمه المعماري الفريد ولستخدام الحجارة بدلا من الطوب في بنائه، ما يعكس مرحلة تاريخية مهمة من جنوب الجزائر، ويضم الموقع ثلاثة معالم أثرية في مكان واحد، أحدها حظي بترميم دولي سنة 2003 ضمن مشروع "طريق القصور"، بالتعاون بين ولاية أدرار ووكالات الأمم المتحدة، ومنها برنامج الأمم المتحدة الإنمائي ومنظمة اليونيسيف.

ب.3. القصبات: تعتبر قصبة "أغام" النواة الأولى لهذه القصور، حيث يعود تاريخها إلى القرن الـ 18 ميلادي، كانت عبارة عن قلاع محصنة تضم مساكن، مسجدا، ومخازن للحبوب والتمور، ومحاطة بجدار سميك وخندق للحماية، شيدت فوق حواف صخرية وأراض طينية منحدرة باتجاه السبخة، مما ساعد في إنشاء نظام سقي يعتمد على الفقارة، ومن بين القصبات المعروفة في المنطقة: أغام أزقاغت، أغام أولاد إبراهيم، أغام إملال، أغام أقبور، أغام أولاد المهدي، أغام السلطان، أغام الشريف، وأغام ازرقة. (دلدلي، 2015، صفحة 43)

ج.المقومات الثقافية في منطقة تيميمون:

ج.1. الفنون الشعبية: تتميز الصحراء الجزائرية بتراث ثقافي غني وفنون شعبية متأصلة، ومن أبرزها:

الفلكلور: يشتهر بتعدد ألوانه وأشكاله، ويضم العديد من الأنماط الفنية التقليدية التي تعكس هوية المنطقة وتراثها العريق، منها: **رقصة أهليل**، وهي تظاهرة ثقافية ترعاها وزارة الثقافة للحفاظ على هذا الفن العريق، الذي أدرج ضمن قائمة التراث العالمي اللامادي لليونسكو منذ عام 2005.، إلى جانبها هناك رقصات تقليدية أخرى مثل **رقصة قرقابو، رقصة سارة، رقصة الحضرة، ورقصة البارود.**

ج.2. الصناعات التقليدية: تتميز منطقة تيميمون كغيرها من مناطق الصحراء الجزائرية بتراثها الحرفي الغني والمتنوع، حيث تشمل أبرز الصناعات التقليدية: صناعة الأواني الطينية، صناعة الزرابي، المنتجات الجلدية، الحرف الفضية والنحاسية، صناعة السلال، وحياكة الألبسة التقليدية.

ج.3. الأكلات الشعبية: يتميز المطبخ التقليدي في الصحراء الجزائرية بتنوع أطباقه، ومن أبرزها: الكسكس، خبز أنور، المردود، خبز "الملة" التراب، والرقاق.

ج.4. الزوايا والمرافق الدينية: تعد السياحة الدينية عنصرا جاذبا في المنطقة، حيث تضم العديد من المدارس القرآنية، الزوايا، والأضرحة، كما تزخر بثروة كبيرة من المخطوطات الإسلامية في مجالات متعددة مثل الفقه، التفسير، اللغة، التاريخ، الجغرافيا، الطب، والفلك، وتضم ولاية أدرار أكثر من 50 خزانة ومكتبة خاصة، منتشرة عبر مختلف مناطقها، ما يعكس غناها العلمي والثقافي. (دلدلي، 2015، صفحة 45)

د. واقع المقومات التراثية وتقييمها سياحيا في تيميمون (القصور والقصبات نموذجا): تعد تيميمون، بتراثها العمراني المميز ومقوماتها السياحية، ركيزة أساسية للسياحة التراثية في إقليم قورارة، غير أن معالمها التاريخية، كقصر تيميمون وفندق الواحات الحمراء والفقارات، تعاني من تدهور كبير بفعل العوامل الطبيعية، الإهمال، والتدخلات غير الملائمة، مما أفقدها جاذبيتها السياحية، في ظل غياب استراتيجيات فعالة للصيانة والحفاظ على الهوية المعمارية، وتزايد هجرة السكان واندثار العديد من القصور التراثية. (صافي، 2018، صفحة 58)

رغم جهود الترميم في تيميمون من قبل منظمات كاليونسكو، إلا أن استخدام مواد حديثة أضر بالطابع التقليدي للعمارة المحلية، كما أن ضعف البنية التحتية السياحية، واقتصار الخدمات على الإيواء والإطعام، إلى جانب غياب المرافق الترفيهية والإعلام السياحي المؤثر، كلها عوامل تعيق استقطاب الزوار وتحد من تنمية السياحة التراثية في المنطقة. (صافي، 2018، صفحة 60)

3.3. منطقة وادي سوف: وادي سوف، أو كما تعرف بـ "سوف"، ولا يوجد معنى ثابت لتسمية "سوف"، حيث يعتقد بعض المؤرخين أن الكلمة مشتقة من "الصوف"، نظرا لاستخدامه في الحياكة والنسيج، ولأهميته كأحد أبرز المنتجات في المنطقة، ومن جهة أخرى، يرجح أن التسمية جاءت من كلمة "سيوف"، التي تعني الكثبان الرملية، ثم تحولت إلى "سوف" للإشارة إلى المنطقة الصحراوية المليئة بالكثبان، وتقع هذه الولاية في أقصى شمال المنطقة الجنوبية الشرقية للجزائر، على الحدود مع الجمهورية التونسية، يحدها من الشمال ولايات تبسة، خنشلة، وبسكرة، ومن الغرب ولايتا الجلفة وورقلة، بينما تحدها ولاية ورقلة من الجنوب، تنتمي وادي سوف إلى العرق الشرقي الكبير، حيث تمتد من منطقة الشطوط جنوب جبال الأوراس، خاصة شط ملغيغ، إلى الحواف الشمالية لهضاب الطاسيلي ناجر، تحيط بها من الشرق كل من الجنوب التونسي وشمال غرب ليبيا، ومن الغرب منطقتا بلاد ريغ ووارجلان، يمتد الإقليم من الجنوب إلى الشمال بين خطي عرض 31° - 34° شمالًا، وبين خطي طول 6° - 8° شرقا. (زهواني و عبادي، 2019، صفحة 260)

– المقومات السياحية لمنطقة سوف: تتميز ولاية وادي سوف، على غرار بقية ولايات الجزائر، بتراث حضاري مادي غني، والتي كانت بمثابة منارات علمية وإدارية بارزة في المنطقة. وفي هذا العنصر، سنتناول المقومات السياحية التي تنفرد بها الولاية، إلى جانب لستعراض خصائصها المحلية والطبيعية التي تسهم في تطوير قطاعها السياحي وتمنحها طابعا مميزا يميزها عن باقي المدن الجزائرية:

أ. المقومات الطبيعية في منطقة وادي سوف:

أ.1. الكثبان الرملية: تمثل الكثبان الرملية جل مساحة الولاية، والتي هي في الأصل جزء من العرق الشرقي الكبير، الذي يعد واحدا من أجمل الوجهات السياحية في ولاية الوادي، حيث تمتاز كثبانه الرملية الشاهقة التي يتجاوز ارتفاعها 100م في بعض المواقع، إلى جانب تنوع نباتاته وحيواناته الصحراوية، كما يضفي وجود سكانه من البدو والرحل طابعا تقليديا فريدا على المنطقة، أما بساتينه الغناء ونخيله البلسق، فتتميز بجمالها الفريد والعناية التي تحظى بها، مما يجعلها استثناء في المشهد الجزائري.

أ.2. غيطان النخيل: الغوط وهو حوض منخفض من الأرض له امتدادات واسعة تبلغ مئات الأمتار طولا وعرضا يصل عمقه إلى 16م، وتزرع فيه أشجار النخيل، وكان سبب لجوء سكان المنطقة لهذه التقنية للاقتراب من مصادر المياه الجوفية، وهو يعتبر مقصد سياحي بامتياز، وقد صنفت الغيطان كمعمم وتراث هندسي من طرف المنظمة العالمية لمتغذية سنة 2011. (زهواني و عبادي، 2019، صفحة 265)

الصورة (5): منظر جوي للغيطان. (زهواني و عبادي، 2019، صفحة 266)

أ.3. البحيرات: تنفرد بحيرات وادي سوف بتنوعها البيولوجي وأهميتها الايكولوجية، حيث أنها تشكل ملجأ للعديد من الطيور النادرة في تنقلاتها.

أ.4. المنابع الحموية: توجد على مستوى الولاية عدة مواقع بها منابع حموية. (زهواني و عبادي، 2019، صفحة 273)

ب. المقومات البشرية في منطقة وادي-سوف: وتتمثل خصوصا في العمارة الإسلامية التي تتميز باستخدام العناصر المعمارية الفريدة مثل الأعمدة، والأقواس، والقباب، والتيجان، تمتاز العمارة في هذه الولاية بطابعها العربي التقليدي، حيث يعرف تصميم المنازل فيها بنمط "الحوش"، وهو ساحة مفتوحة داخل البيت توفر التهوية الطبيعية والاتصال المباشر بالهواء الطلق، وفي عام 1990 أطلقت الكلتبة الألمانية إزابيل إيبرهاردت على ولاية الوادي لقب "مدينة ألف قبة وقبة"، وذلك لما تشكله القباب من عنصر معماري وثقافي مميز وأساسي في البناء، وقد فرضت الظروف الطبيعية والتاريخية اعتماد هذا النمط المعماري، إذ تساعد القباب في كسر أشعة الشمس وتوزيعها، إلى جانب تقليل تأثير العواصف الرملية، مما يعكس التأثير العميق للثقافة العربية الإسلامية في تصميم المباني بالمنطقة. (مديرية الثقافة لولاية الوادي، 2008، صفحة 11)

ب.1. الحي العتيق الأعشاش: يقع حي الأعشاش في مدية الوادي يحده شمالا شارع القدس، وجنوبا شارع الطالب العربي وغربا شارع محمد خميستي ومن الشرق حي أولاد حمد، وتشير المصادر التاريخية بأن الأصول الأولى لهذا الحي تعود إلى حوالي القرن16م، ويتميز حي الأعشاش بطرازه المعماري المحلي الذي يعكس براعة السكان المحليين وعبقريتهم في التأقلم مع البيئة الصعبة، وهذا من خلال استعمالهم لتصاميم معمارية ملائمة للمناخ الصحراوي الحار مثل القباب والأقواس.

ب.2. المنشآت الدينية: تتميز ولاية وادي سوف بمقومات سياحية دينية غنية ومتنوعة، تجعلها وجهة هامة للزوار والباحثين عن السياحة الروحية والدينية، تضم الولاية 410 مساجد، وهو ما يعكس الطابع الديني العريق للمنطقة،بالإضافة إلى ذلك، تحتضن الولاية مدارس قرآنية تعنى بتعليم وحفظ القرآن الكريم، إلى جانب عدد من الزوايا، كالزاوية التجانية بقمار، والتي تعد مقصدسياحي هام خصوصا بعد إعادة ترميم الزاوية وتأهيلها كمعلم ثقافي وسياحي في الآونة الأخيرة. (مديرية الثقافة لولاية الوادي، 2008، صفحة 20)

الصور(7): مسجد مهجور بالوادي. (مديرية الثقافة لولاية الوادي، 2008، صفحة 21)

ب.3. سوق الوادي: يعد سوق الوادي من أنشط الأسواق الوطنية بعد سوق العلمة، وهو من أقدم الأسواق التي لا تزال نشطة حتى اليوم، حيث يعتبر وجهة تجارية دولية، يتميز السوق بأزقته الضيقة التي تمنح الباعة والمتجولين ظلا وبرودة خلال أيام الصيف الحارة، كما أن جميع محلاته تعلوها القباب التي تساهم في كسر أشعة الشمس، مما يعكس الطابع المعماري التقليدي للمنطقة، داخل السوق توجد زاوية سيدي سالم التابعة للطريقة الرحمانية، إلى جانب المسجد العتيق، الذي كان منذ القدم مركزا لتعليم الدين وإرشاد الباعة والمتسوقين، كما ارتبط السوق تاريخيا بمسجد سيدي مسعود، الذي شكل محطة هامة في النشاط التجاري والديني عبر الزمن. (زهواني و عبادي، 2019، صفحة 277)

ج. المقومات الثقافية في منطقة وادي سوف:

ج.1. **الصناعات التقليدية:** اتسمت الصناعة التقليدية في الولاية بتعدد منتوجاتيها "كصناعة الفخار، والألبسة التقليدية، وصناعة الزرابي.."، وقد لعبت هذه المصنوعات دورا فعالا في الخدمات المنزلية المحلية والتي كانت تستمد موادها الأولية من غيطان المنطقة، ونباتاتها وحيواناتها وصخورها، وهي مطلوبة بكثرة من قبل السياح الاجانب.

ج.2.**الأعياد و التظاهرات المحلية والوطنية:** يتميز الإنسان السوفي بتمسكه بالعادات والتقاليد العربية المرتبطة بالقيم والأخلاق الإسلامية، والتي تتجلى بوضوح في مختلف جوانب حياته، خاصة في مناسبات الزواج والأعياد، ومن أبرز الأعياد التقليدية في المجتمع السوفي: عيد الخريف المعروف بـــ"هبيطة الخريف"، عيد الربيع أو "تقطيوط"، القدري، ووقوف العرجون.

– **عيد مدينة الألف قبة وقبة** (عيد مدينة الوادي): هو مهرجان تنظمه بلدية الوادي سنويا خلال العطلة الشتوية، ويشمل فعاليات ثقافية وترفيهية لجميع الفئاتبالتعاون مع مختلف الجهات المحلية، وترصد البلدية ميزانية تتراوح بين 1.5 إلى 5 ملايين دينار جزائري، لكنها غيركافية،مما يستدعي دعم المؤسسات الاقتصادية والمحلية، مثل مؤسسة طيبة للتوابل، مؤسسة كيدس، ومديرية الثقافة والسياحة. (زهواني و عبادي، 2019، صفحة 266)

الأنشطة الرئيسية لعيد مدينة الألف قبة وقبة:

كرنفال المدينة: عروض فلكلورية، فرق الخيالة، والعادات التقليدية بمشاركة فرق من داخل وخارج الجزائر. عروض فنية ومسرحية: بمشاركة فرق محلية ووطنية وأجنبية.

معارض متنوعة: تشمل الصناعات التقليدية، التجارية، الاقتصادية، والثقافية. عروض متنقلة: فنية ومسرحية وأنشطة للأطفال. مسابقات: في الأكلات الشعبية وصناعة الحلويات. دورة رياضية: بمشاركة فرق محلية من مختلف الفئات العمرية. يمثل المهرجان واجهة ثقافية وسياحية مهمة تعكس التراث المحلي، رغم التحديات المالية التي تواجه تنظيمه. –المهرجان الوطني للتزحلق على الرمال والمقام من 19إلى 26 مارس من كل سنة.

ج.3. **الأكلات الشعبية:** تتفرد مدينة وادي سوف بأطباقها التقليدية التي تميزها عن باقي مناطق الوطن، حيث لا يزال استهلاك لحوم الماعز والبقر والجمل يشكل جزءا أساسيا من النظام الغذائي لسكانها.

ج.4. **الرقصات الشعبية:** تزخر ولاية الوادي بتنوع في الغناء والرقصات الشعبية التي تمثل تراثها العريق وثقافتها المتوارثة عبر الأجيال، تعكس هذه الفنون العادات والتقاليد الراسخة لسكان المنطقة منذ القدم، كما تأثرت بالموروث الموسيقي للمناطق المجاورة مثل تونس وليبيا، وهو ما يظهر بوضوح في مختلف الطبوع الغنائية، لا سيما الأغاني التراثية المصحوبة بالآلات الموسيقية المحلية مثل "الزرنة"، "البندير"، و"الدربوكة"، والتي تحظى بانتشار واسع، ومن أبرز الرقصات الشعبية في الولاية:

– رقصة الزقايري. – رقصة الزندالي. – رقصة القرقابو. – المديح الديني. – الحضرة. – الرادلسي. (زهواني و عبادي، 2019، صفحة 269)

د. **واقع المقومات التراثية وتقييمها سياحيا في منطقة سوف:** رغم امتلاك وادي سوف لمقومات تراثية وسياحية هامة، إلا أن القطاع يعاني من تحديات متعددة أبرزها ضعف البنية التحتية، نقص خدمات الإيواء والنقل، ضعف الترويج السياحي، وقلة الاستثمار، إلى جانب غياب الوعي المجتمعي بأهمية السياحة المستدامة، وضعف القوانين والبرامج الموجهة لحماية المواقع الأثرية وتثمينها، ما يعرقل تحقيق تنمية سياحية فعالة ومستدامة في المنطقة. (زهواني و عبادي، 2019، صفحة 279)

4.3. **منطقة وادي مزاب:** وادي ميزاب هو منطقة تاريخية تتميز بتجمع حضري يُعرف باسم "البنتابول(Pentapole) "، وهي كلمة فرنسية تعني "الخماسي"، في إشارة إلى اتحاد خمس مدن متجاورة أنشئت منذ أكثر من ألف عام، يتميز هذا الوادي بعمارته الفريدة، التي جذبت اهتمام كبار المعماريين المعاصرين، مثل لوكوربوزييه، لما تحمله من أصالة ووظائفية متكاملة مع الطبيعة، تعد غرداية التي تأسست عام 1048م، العاصمة التجارية لوادي ميزاب، وهي مدينة استطاعت الحفاظ على هويتها التاريخية، إذ تمثل مركزا مهما للقوافل المتجهة نحو الساحل الإفريقي وبلدان المغرب، يعكس الطراز المعماري للمدينة مزيجا من الحيوية والانسجام مع البيئة، مما منحها طابعا فريدا، ويقع وادي ميزاب على بعد 600 كم جنوب العاصمة الجزائر، ضمن هضبة يبلغ متوسط ارتفاعها 600م، يمتد على مسافة 20 كم طولا وبعرض متوسط يبلغ 2 كم، بين خطي عرض 32.50° شمالاً وخط طول 3.45°، وتقدر مساحته الإجمالية بحوالي 40 كم^2، يعتمد النسيج العمراني في وادي ميزاب على العلاقة المتوازنة بين القصر والواحة، حيث شيدت القصور الخمسة فوق تلال صخرية لحمايتها من الفيضانات، مما أضفى عليها بعدا دفاعيا، وتتميز هذه القصور بتخطيط حضري متراص يعكس خصائص معمارية فريدة، أما الأراضي المنبسطة داخل الوادي فقد خصصت للزراعة حيث قسمت إلى خمس واحات، كل واحدة منها تابعة لقصر معين، هذا التزاوج بين الطبيعة والعمران أضفى على وادي مزاب قيمة تراثية وجمالية استثنائية، مما يجعله نموذجا فريدا للتخطيط الحضري التقليدي في الصحراء (بوراس، 2002، صفحة 10).

– **المقومات السياحية لوادي مزاب:** تتجلى أهميته السياحية في معالمه التراثية الفريدة التي تعكس طابعا عمرانيا متميزا يتماشى مع طبيعة المنطقة الصحراوية، كما أن هندسته المعمارية التقليدية، التي تأخذ بعين الاعتبار المناخ القاسي، جعلته نموذجا فريدا في العمارة الإسلامية في الصحراء، إلى جانب ذلك يزخر وادي مزاب بمعالم ثقافية واجتماعية تعكس تراثه العريق، مما يساهم في جعله منطقة جذب سياحي بارزة على المستويين الوطني والدولي.

أ. المقومات السياحية الطبيعية:

أ.1. التضاريس: تتمثل في المنحدرات الطبيعية التي تحيط بالمدينة من الناحية الشمالية والجنوبية.

أ.2. الوادي: وهو عنصر مهم وحيوي في المدينة لذلك نجد أن التوسع العمراني كان موازيا لمسار الوادي.

أ.3. واحات النخيل: تعد واحات النخيل من أبرز المعالم الطبيعية في المنطقة، حيث تلعب دورا هاما في توفير مصادر المياه والحماية من التصحر، كما تسهم بشكل كبير في تحقيق التوازن البيئي، إذ تساعد في تلطيف المناخ المحلي، بالإضافة إلى ذلك تعتبر هذه الواحات عامل جذب للسياح الذين يسعون لاكتشاف حياة الإنسان مع الطبيعة في أبسط أشكالها.

أ.4. المنابع الحموية: تضم ولاية غرداية محطات حموية مشهورة، أبرزها تلك الواقعة في زلفانة، على بعد 70 كلم من عاصمة الولاية، وأخرى في القرارة، حيث تصل درجة حرارة المياه الجوفية إلى 41 درجة مئوية، ما يجعلها وجهة علاجية مثالية لمختلف الأمراض، إضافة إلى كونها مقصدا للاستجمام والراحة. (ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، صفحة 11)

ب. المقومات البشرية:

ب.1. المواقع السياحية: يتميز هذا الوادي بمعماره الفريد الذي يعكس التراث الإسلامي الصحراوي، وقد تم تصنيفه ضمن قائمة التراث العالمي لليونسكو عام 1982 نظرا لقيمته الثقافية والمعمارية، حيث تأسست قصوره الخمس الرئيسية منذ القرن الحادي عشر الميلادي وهي: العطف، بنورة، غرداية، مليكة، بني يزقن، وهي تتميز بتخطيطها العمراني الذكي الذي يتكيف مع البيئة الصحراوية القاسية، في عام 2005 تم تعزيز الجهود للحفاظ على هذا التراث من خلال إدراجه ضمن القطاع المحفوظ من قبل وزارة الثقافة الجزائرية.

ب.2. المعالم التاريخية: تتجلى العمارة في قصور وادي مزاب من خلال معالمها التاريخية التي تعود إلى فترات زمنية مختلفة، مما يعكس التنوع في الطرز المعمارية والتأثيرات الحضارية التي مرت على المنطقة، ويمكن تصنيف هذه المعالم إلى ثلاثة أقسام:

المعالم الدينية: تشمل المساجد والزوايا التي لعبت دورا محوريا في نشر العلم والدين في المنطقة، ومن بين هذه المعالم نجد مصلى الشيخ ابراهيم بن مناد بالعطف ومصلى عمي بغرداية ومصلى الشيخ بأحمد ببني يزقن ومصلى الشيخ أبي مهدي عسى "سيدي عيسى" بمليكة.

المعالم الدفاعية: تضم المعالم الدفاعية في وادي مزاب مجموعة من الحصون والأسوار والقلاع التي لعبت دورا هاما في حماية المنطقة من الغزوات والاعتداءات الخارجية، وقد بنيت هذه المنشآت وفق تخطيط معماري استراتيجي يعكس مهارة البنائين في توفير وسائل الدفاع الفعالة.

المعالم المدنية: تشمل المعالم المدنية في وادي مزاب مجموعة من المنشآت العمرانية التي تعكس الطابع الحضري للمنطقة، مثل الأسواق، والشوارع، والأزقة، والساحات، والمساكن.

المساكن التقليدية: تعد المساكن التقليدية في وادي مزاب من أبرز الشواهد على الهندسة المعمارية المحلية التي تأثرت بالبيئة الصحراوية وطبيعة الحياة الاجتماعية، فقد صممت هذه المساكن لتوفير الراحة والملاءمة لساكنيها، مع مراعاة العوامل المناخية والجوانب الثقافية.

ب.3. نظام تقسيم المياه التقليدي: يعتبر نظام تقسيم المياه التقليدي من الأساليب الهندسية المتوارثة التي تضمن توزيعا عادلا للمياه، يعتمد هذا النظام على استخدام قنوات مائية وأنظمة تصريف متقنة، حيث يتم تنظيم تدفق المياه وفقا لجداول زمنية دقيقة تضمن الاستفادة القصوى منها، كما يتضمن هذا النظام آليات محكمة للحفاظ على التوازن البيئي والحد من هدر المياه، مثل بناء السدود الصغيرة والخزانات التقليدية مثل سد تجنينت، سد آت يسخن، سد بوشن ونظامه الرائع في تقسيم مياه الغدير... (ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، صفحة 13)

ج. المقومات الثقافية:

ج.1. الصناعات التقليدية والحرفية في وادي مزاب: تعد الصناعات التقليدية والحرفية جزءا أساسيا من التراث الثقافي لوادي مزاب، حيث تعكس مهارات السكان المحليين وإبداعاتهم التي توارثوها عبر الأجيال، وتشمل هذه الصناعات مجموعة متنوعة من الحرف التي تمارس داخل المنازل أو في ورش صغيرة، وتعتمد بشكل أساسي على المواد المحلية وأساليب التصنيع اليدوية.

أهم الصناعات التقليدية:

صناعة الفخار والخزف: يتميز الحرفيون بصناعة الأواني الفخارية التي تستخدم في الطهي والتخزين، مع تصاميم وأشكال فريدة تميز المنطقة.

النسيج وصناعة الزرابي: تشتهر المنطقة بإنتاج الزرابي (السجاد التقليدي) الذي يحاك يدويا باستخدام الصوف الطبيعي، ويزدان بنقوش وألوان مستوحاة من الثقافة المحلية.

النجارة التقليدية: تشمل صناعة الأبواب الخشبية المزخرفة، والأثاث التقليدي الذي يتميز بالنقوش الهندسية والأشكال الفنية الفريدة.

صناعة الحلي والمجوهرات: يعتمد الحرفيون على تقنيات يدوية في تشكيل الحلي الفضية والنحاسية، والتي تستخدم للزينة في المناسبات الاجتماعية.

الدباغة وصناعة الجلود: تستخدم الجلود المحلية في إنتاج الأحذية التقليدية (البلغة)، والحقائب، والمستلزمات الأخرى التي تعكس الطابع التقليدي للمنطقة.

تحافظ هذه الصناعات على هوية المنطقة الثقافية والاقتصادية، حيث تمثل مصدر دخل للعديد من العائلات، كما تساهم في الحفاظ على الحرف التقليدية من الاندثار.

ج.2. **الطبوع الفولكلورية:** تشتهر المنطقة بنمطين رئيسيين من الفنون الشعبية التي تحضر في الأفراح والاحتفالات الموسمية، وهما فرقة البارود وفرقة القرقابو.

ج.3. **المأكولات التقليدية:** تتميز قصور ميزاب بتنوع أطباقها التقليدية التي تعتمد على المنتجات المحلية، ومن أبرزها: الكسكس (إيسوفار)، الفول (أدريم)، تاكروايت (مشروب محلي)، تازميت (كريات من الطحين المقلي مع التمر والسمن البلدي)، إلى جانب أطباق أخرى يتم تحضيرها بطرق أصيلة متوارثة عبر الأجيال.

ج.4. **التظاهرات السياحية والأعياد المحلية:** تستضيف قصور ميزاب سنويا العديد من التظاهرات والأعياد التي أصبحت علامة سياحية مميزة، تجذب الزوار من داخل وخارج الوطن، ومن أبرزها:

العيد الوطني للزربية (غرداية): يقام كل ربيع (مارس/أفريل)، ويهدف إلى التعريف بالزربية المزابية كإرث ثقافي وتاريخي عريق، من خلال مشاركة مختلف القطاعات الخاصة والعامة في الترويج لها وتطويرها.

الصالون الوطني للمهري (متليلي): يقام سنويا خلال فصل الربيع، ويهدف إلى إبراز أصالة المنطقة وتراثها، وجذب السياح ولستقطاب الاهتمام نحو ثقافتها الفريدة.

الزيارات والوعدات: تنظم مع بداية فصل الربيع، حيث يشارك المواطنون في زيارات جماعية إلى المقابر، ومقامات الأولياء الصالحين، والمعالم التاريخية، تتخللها مجالس للذكر والدعاء وتوزيع الصدقات، إلى جانب تظاهرات أخرى تعكس ثقافة المجتمع الميزابي في الاحتفال بالمناسبات الدينية والاجتماعية. (ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، الصفحات 31-32)

الصور(9): الشكل العمراني للقصر بغرداية. (ديوان حماية وادي مزاب وترقيته، صفحة 4)

د. **واقع المقومات التراثية وتقييمها سياحيا في منطقة وادي مزاب:** يعد إقليم وادي مزاب منطقة ذات تراث معماري وثقافي غني يؤهله ليكون وجهة سياحية متميزة، خاصة في السياحة الدولية، غير أن ضعف البنية التحتية، غياب استراتيجيات فعالة للحفاظ على الهوية العمرانية، وقصور الترويج الإعلامي، إضافة إلى محدودية الوعي السياحي، كلها عوامل تعيق استغلال إمكاناته بالشكل الأمثل، رغم جهود بعض الهيئات الرسمية. (دباحي، 2015، صفحة 86)

3. **دراسة تحليلية لحالات الدراسة واستراتيجيات الحفاظ على التراث الثقافي:** يمكن ملاحظة من خلال اطلاعنا على الدراسات السابقة:

يعاني قطاع السياحة في مدن الجنوب الجزائري، مثل وادي سوف وتيميمون ووادي مزاب، من ضعف في استغلال مقوماته التراثية رغم البرامج التنموية الموجهة لحمايتها وتطويرها، إلا أن هذه المبادرات تواجه صعوبات في التنفيذ الميداني بسبب عوائق اجتماعية وثقافية، مما يحد من تحقيق التنمية السياحية المستدامة.

المخطط (1): اقتراح منهجية للحفاظ على التراث الصحراوي وإحيائه :

أ- مرحلة الدراسة المبدئية				
1- تحديد أولويات مناطق الحفاظ على التراث	2- مدخل عام وتحديد منطقة الدراسة	3-الدراسات المبدئية للمنطقة التراثية	4- تحديد أهداف الحفاظ على المنطقة التراثية	5- التعرف على طبيعة المنطقة وتكوين قاعدة بيانات شاملة للجوانب العمرانية والاجتماعية والاقتصادية وشبكة
عمر المنطقة التراثية	التعريف بالمنطقة التراثية	تحديد خريطة للمنطقة	تحديد الأهداف التخطيطية	
الأهمية التاريخية للمنطقة التراثية	تحديد منطقة الدراسة وعلاقتها بالمناطق المحيطة	المسح الميداني وتكوين قاعدة المعلومات	تحديد أهداف التصميم العمراني	

حالة المنطقة "نسبة الضرر"	حصر المباني التراثية	معلومات عن السكان	تحديد أهداف شبكة الطرق ومسارات المشاة	الطرق والبنية الأساسية
الطابع العمراني للمنطقة		معلومات عن الاقتصاد القائم	تحديد الأهداف الاقتصادية والاجتماعية	
إمكانية الاستثمار		معلومات عن العمران القائم		
رغبة السكان تجاه الحفاظ				

ب- مرحلة تحليل ودراسة الوضع الراهن للمنطقة التراثية			
1- الدراسات العمرانية	2- الدراسات الاقتصادية	3- الدراسات الاجتماعية	4- دراسات البنية الأساسية
تحديد المداخل وطرق الوصول	دراسة الأنشطة الاقتصادية بالمنطقة	دراسة وتقدير عدد السكان	دراسة شبكة الطرق والمشاة
دراسة التطور التاريخي للمنطقة التراثية	دراسة أسعار الأراضي	دراسة الخصائص الاجتماعية "التعليمية، الثقافية، الصحية..."	دراسة حالة المرافق "مياه، كهرباء، الصرف الصحي..."
دراسة الهيكل العمراني	نتائج تحليل الوضع الراهن للدراسات الاقتصادية	نتائج تحليل الوضع الراهن للدراسات الاقتصادية	نتائج تحليل الوضع الراهن لدراسات البنية الأساسية
الدراسة البصرية			
تحديد المباني			
نتائج تحليل الوضع الراهن للدراسات العمرانية			
رصد الإمكانيات والمحددات والمشكلات والتحليل العام بالمنطقة التراثية			

ج- مرحلة القرارات الأساسية والبدائل التخطيطية			
1- للقرارات الأساسية لمشروعات الحفاظ على المناطق التراثية	2- سياسات الحفاظ على المناطق التراث العمراني		3- إعداد المخططات والبرامج التفصيلية اللازمة للتنفيذ
المبدئل التخطيطية للحفاظ على المنطقة التراثية واختيار البديل المناسب باستخدام واحدة أو أكثر من سياسات الحفاظ على التراث العمراني	سياسات خاصة بالمباني التراثية	سياسات خاصة بالمناطق التراثية	المخططات التنفيذية لإعادة تأهيل البنية الأساسية والطرق
	الحماية	إعادة البناء والتعمير	الرسومات التفصيلية لتنسيق المواقع والفراغات
	الترميم والتجديد	الحفاظ	الرسومات التنفيذية لإعادة تأهيل المباني التراثية
	التدعيم	إعادة التأهيل	الرسومات التنفيذية للمشروعات السياحية التنموية المقترحة
	إعادة البناء	الحفاظ والصيانة	الرسومات التنفيذية للمشروعات الترفيهية والخدمات المقترحة
	إعادة الاستخدام		

الخلاصة: يعاني القطاع السياحي في الجنوب الجزائري من ضعف الأداء رغم توفر مقومات سياحية وتراثية متميزة، وذلك نتيجة غياب برامج تنموية فعالة، وضعف الترويج السياحي، ومحدودية البنية التحتية، مما يحد من قدرته على المنافسة دولياً. ويُعد التراث العمراني والثقافي رافداً أساسياً للتنمية السياحية المستدامة، إذ يسهم في تعزيز الهوية المحلية، وتحقيق مكاسب اقتصادية واجتماعية، خاصة عند دمجه مع تقنيات حديثة، واستلهام التجارب الدولية الناجحة.

المراجع:

Prakobsiri Pakdeepinit .(2007) .*A Model for Sustainable Tourism Development in Kwan Phayao Lake Rim Communities, Phayao Province, Upper Northern Thailand* .Thailand: Silpakorn.

UNESCO .(2021) .*The Preservation of Cultural Heritage in Arid Environments* .Paris: UNESCO Publishing.

أحمد دباحي. (2015). *إقليم وادي ميزاب بالجنوب الجزائري بين برامج التدخل وآليات تفعيلها بمنظور مستدام –دراسة مدن اقليم ميزاب*. المسيلة: كلية تسيير التقنيات الحضارية–جامعة المسيلة.

أحمد عواد. (2007). *الاستدامة العمرانية في المناطق ذات القيمة التاريخية*. بنها: جامعة شبرا.

إدريس الازمي. (2011). اعمال ندوة الداخلة الدولية. *التراث الصحراوي التاريخ والذاكرة* (صفحة 9). الدار البيضاء: منشورات المجلس الوطني لحقوق الانسان.

الأمانة العامة للهيئة العليا للسياحة. (2003). *ميثاق المحافظة على التراث العمراني في الدول العربية وتنميته*. المملكة العربية السعودية.

الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. (2008). أربعة عقود تسرع وتيرة العمل فـــي مشروعي الدرعية ووادي حنيفة. *مجلة تطوير*.

الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. (2009). *الدرعية– أصالة الماضي وإشراقة الحاضر*. الرياض.

الهيئة العليا لتطوير مدينة الرياض. (2010). تسجيل الدرعية التاريخية فـــي قائمـــة التراث العالمي. *مجلة تطوير*.

اليونسكو. (17 نوفمبر 1972). اتفاقية حماية التراث العالمي الثقـــافي والطبيعـــي. *المؤتمر العام، الدورة 17*. باريس: اليونيسكو. تم الاسترداد من https://www.unesco.org/en.

ايهاب فاروق راشد. (2001). *التنمية السياحية للمناطق الصـــحراوية مدخل للتوافق والاستدامة*. القاهرة: الأكاديمية الحديثة بالمعادي.

توما جابي . (2012). *دليل سياحي، محمية سيوة وبلدة شالي القديمة*. مصر: جهاز شئون البيئة، وزارة الدولة لشئون البيئة.

ديوان حماية وادي مزاب وترقيته. (بلا تاريخ). *دليل المواقع والمعالم التاريخية لولاية غرداية*. غرداية: ديوان حماية وادي مزاب وترقيته.

عبد الرحمن دلدلي. (2015). *السياحة التراثية في إقليم قوارارة بالجنوب الجزائري بين برامج التفعيل وبرامج الاستدامة– دراسة حالة مدينة تيميمون*. المسيلة: جامعة محمد بوضياف بالمسيلة.

عبد الرزاق زهواني ، و محمد عبادي. (2019). مقومات وعوامل الجذب السياحي بولاية الوادي الواقع والآفاق–دراسة تحليلية واستشرافية –. *مجلة أبحاث اقتصادية وادارية*.

عبد العزيز الدميري. (2005). *سيوه الماضي والحاضر*. الاسكندرية: مطبعة حسن ياسو.

كلثوم صافي. (2018). واقع ومقومات السياحة الصحراوية بالجنوب الغربي الجزائري "حالة ولايتي بشار وأدرار". *مجلة المؤشر للدراسات الاقتصادية*، صفحة 60.

محمد قجة. (2005). الحداثة والتراث. *مجلة الموقـــف الأدبـــي*، الصفحات 44-56.

مديرية الثقافة لولاية الوادي. (2008). *الوادي مدينة الألف قبة وقبة*. الوادي: مديرية الثقافة بالوادي.

نذير معروف. (2011). نبذة تاريخية عن الفقارة بتميمون. *ملتقى الأسبوع الوطني*، (صفحة 265). ورقلة.

ياسر جلال الدين عارف. (2004). العمارة والعمران في إطار التنمية. *محاور التنمية فـــي المجتمعـــات الصحراوية– دراسة تطبيقية على واحة سيوه*. القاهرة–مصر.

يحي بوراس. (2002). *العمارة الدفاعية في منطقة وادي مزاب "نموذج قصر بني يزقن"* . الجزائر: كلية العلوم الانسانية–جامعة الجزائر2.